**جامعة تكريت**

**كلية العلوم الإسلامية**

**قسم الأديان المقارنة**

**محاضرات المرحلة الرابعة**

**مادة النظم الإسلامية**

**اعداد: د. محمد حمد مهدي**

**المحاضرة الأولى التعريف بالنظم الإسلامية وأنواعها ومصادرها وخصائصها**

الحمد لله العلي الكبير، ثم الصلاة والسلام على السراج المنير والبشير النذير نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد...

فقد تناولت في هذه المادة التعريف بالنظم الإسلامية في اللغة والاصطلاح، وعرضتُ لأنواع النظم الإسلامية وأهميتها وخصائصها ثم تناولت مصادر النظم، مع بيان شمول الشريعة لكل جوانب الحياة ويظهر في ذلك تكامل النظم الإسلامية وترابطها وتناسقها.

**تعريف النظم :**

**النظم لغة :**

نظم ينظم، تنظيما، فهو منظم، نظم الأشياء: نظمها، رتبها، وضم بعضها إلى بعض في صورة منسقة، والنظم جمع نظامٍ، وهي كلمة تطلق على كل شيء يراعى فيه الترتيب والانسجام والارتباط، وهي بهذا الاعتبار تشبه العقد من حيث انتظام أحجاره بعضها مع بعضٍ، ونظم أي دولة تتكون من مجموعات القوانين والمبادئ والتقاليد التي تقوم عليها الحياة في هذه الدولة، ومن هذه النظم: النظام السياسي، والنظام الإداري، والنظام المالي، والنظام القضائي، وهناك نظم أخرى كالعبادات من: صلاة، وصيام، وحجٍ، وزكاة، وهناك نوع آخر من النظم وهو النظم الاجتماعية التي تعني بدراسة حالة الشعوب.

فالنظم: تدل على التأليف وضم شيء إلى آخر، فكل ما يراعى فيه الترتيب والانسجام والارتباط يسمى نظم.

**النظم اصطلاحاً:**

*تنقسم النظم بشكل عام غلى نظم إسلامية، ونظم غير إسلامية.

ـ **النظم الإسلامية:** متميزة عما سواها لذا يمكن تعريفها بأنها: (المبادئ والأسس الملزمة التي تقوم عليها الحياة في ظل الإسلام، والتي تحدد للإنسان حركته ونشاطه في كافة المجالات باعتباره ديناً ونظاماً شاملاً لكل أمور الحياة، ويحقق المصالح المشتركة للفرد والأسرة والمجتمع).

أو انها: ( الأحكام والقواعد التي شرعها الله سبحانه لتنظيم أعمال الناس، وعلاقاتهم المتعددة، والمتنوعة، المنبثقة عن العقيدة الإسلامية؛ فقواعد الإسلام وأحكامه في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والقضاء، والعقوبات، وغيرها من القواعد والأحكام التي تنظم الحياة الخاصة والعامة تشكل بمجموعها وتفاعلها، وتناسقها وترابطها النظام

الإسلامي).

وعلى هذا فالنظام الإسلامي أو النُظُم الإسلامية تندرج في الشريعة الإسلامية، ولاسيما أن علماء القانون يطلقون مسمى الشريعة على جملة الأنظمة والقوانين إذا اتصفت بالانسجام العام في مجموعها، وانتظمها سياق واحد لانبعاثها عن روح واحدة، وهذا لا يتأتى إلا في الشريعة الإسلامية لانبثاقها عن العقيدة الإسلامية وانسجامها مع فطرة الكون وطبيعة الإنسان وسنن الحياة .

ـ **أما النظم غير الإسلامية** فيراد بها: (مجموعة المبادئ والتشريعات والأعراف وغيرها من الأمور التي تقوم عليها حياة المجتمع وحياة الدولة وبها تنتظم أمورها).

**أنواع النظم الإسلامية :**

تعد النظم الإسلامية بمثابة دستور قويم يجمع نظماً متعددة مترابطة متداخلة في كيان واحد ، ولعل أبرزها ما يلي:

١. **النظام العقدي:** وهو يعنى بالأحكام والأمور الاعتقادية التي يجب على المسلم الإيمان بها سواء ما يتعلق بذات الله عز وجل أو ما يتعلق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو ما يتعلق بالأمور السمعية الغيبية .
٢. **نظام العبادة:** وهو يعنى بالأحكام الشرعية الفقهية في مسائل العبادات، من حيث الحل والحرمة والوجوب والندب والكراهة .
٣. **النظام الاجتماعي:** ويعنى بالنواحي الاجتماعية والعائلية مثل ما يتعلق

بعلاقات الأفراد ببعضهم البعض وواجب الفرد تجاه الجماعة وما إلى ذلك .

٤. **النظام الخلقي:** ويعنى بالأحكام المتعلقة بالفضائل والمكارم الخلقية، والأحكام التي تدعو إلى الخير والفضيلة وتنهى عن الشر والرذيلة .

٥. **النظام المالي أو الاقتصادي** : يعنى بالنواحي المالية من وأحكام موارد الدولة الإسلامية ومصارفها.

٦. **النظام السياسي:** يعنى بأنظمة الحكم وقواعده في الدولة الإسلامية وتولية الحاكم والعلاقة بينه وبين المحكوم وحقوق كل منهما وواجباته.

٧. **نظام العلاقات الدولية:** يعنى بالأحكام التي تتناول تنظيم علاقة الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب والتي تتناول قوانين معاملة الأجانب غير المسلمين ( المستأمنين ) في الدولة الإسلامية.

**مصادر النظم الإسلامية:**

إن أصول النظم الإسلامية وأُسس تشريعاتها تنهل من معين واحد، فهي مأخوذة الوحي الإلهي، المتمثل بكتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والعقل البشري تابعاً لهما، وقد عرفت المجتمعات البشرية هذا منذ القدم، فقد أنزل الله عز وجل وحيه على رسله في كل الأمم يحمل للناس ما ينظم شؤون حياتهم ويحدد حقوق كل فرد وواجباته، وبرغم وجود هذا الوحي فإن كثيراً من الناس أعرضوا عنه وأخذوا يسنون القوانين والتشريعات لأنفسهم فما استقامت لهم الحياة وضلوا وتخبطوا فعقول البشر قاصرة عن الإلمام بجميع الأطراف التي تتصدى لتنظيمها كما أنها محدودة

بالمكان والبيئة التي تعيش فيهما، كما أن الإنسان الذي هو موضوع التنظيم لا يزال جاهلاً بنفسه فكيف يضع النظام الذي يكفل المحافظة على ضروراته ويلبي حاجاته ومطالب حياته بصفة شمولية متوازنة ؟.

نخلص من ذلك أن طريق الوحي الإلهي هو الأكمل والأشمل والأتم ولا مجال لمقارنته بنظم اخترعها البشر قال تعالى : ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ .

فالنظم الإسلامية: ربانية المصدر، ولم يكن الإسلام نظاماً مغلقاً فاكتفى بالقرآن بحسبانه رسالة السماء، ولكن القرآن نفسه دلنا على الأصل الثاني الذي يبين أحكامه ويفصل مجمله وهو سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكتف الإسلام بمصدريه الأساسيين الكتاب والسنة بل وضع حساب المستقبل واحتمال تغير ظروف البيئة وتبدل الزمان ففتح المجال أمام الأمة لتتمكن من إقرار ما تتفق عليه فكان الإجماع ثم القياس فهذه الأصول الأربعة هي أصول التشريع الإسلامي ومصادر النظم الإسلامية.

**خصائص النظم الإسلامية:**

للنظم الإسلامية عدد من الخصائص هي في مجملها تشترك مع خصائص الشريعة الإسلامية ومنها:

**١ـ خاصية المنهج الإلهي:**

هي أهم ما تتصف به النظم الإسلامية من خصائص وصفات أنها منهج الله عز وجل في خلقه وشرعه في عباده .. تصريفا في حياتهم وفقا لهذا المنهج وتلك الشرعة فالمبادئ الكلية للنظم الإسلامية والقواعد العامة والجزيئات الثابتة هي وحي الله تبارك

وتعالى إلى خاتم رسله صلى الله عليه وسلم ويتمثل ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية يقول الله تعالى (ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)، ويقول عليه الصلاة والسلام: (ما من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكثرهم تابعا يوم القيامة)، فبهذه الخاصية تختلف النظم الإسلامية عن سائر النظم الوضعية تلك التي تصدر عن فكر البشر وتصورات عقولهم الخاضعة للأهواء والمشارب والمتغيرة بتغير الزمان والمكان وشتان بين تنظيم من الإله الخالق ومن البشر المخلوق لا يستطيع أن يتخلص من رغباته وشهواته إن الإنسان لا يقدر مهما حاول امتثال نفسه فالتيارات الداخلية أو الخارجية ثم لا يستطيع أن يصل بفكره إلى المتغير وعقله المحدود إلى درجة الكمال المطلق .

**٢ـ التوسط والاعتدال:**

إذا نظرت إلى الأنظمة الإسلامية وجدتها وسطاً في كل أحكامها وسأضرب لذلك مثالاً واحداً لنظامين مختلفين هما : النظام الرأسمالي، والنظام الاشتراكي فقد تطرف كل منهما في موضوع الملكية فالأول أباح الملكية الفردية مطلقاً وأباح تبعاً لذلك كل وسائل تملك المال وأدى ذلك إلى تكدس المال لدى فئة قليلة بينما بقيت الجموع الهائلة تكدح لتحصيل الكفاف من العيش، أما الثاني فإنه يلغي الملكية الفردية ويراها عاملاً قوياً من عوامل تخريب العالم ودماره، ويجعل كل قوى الإنتاج ملكاً للدولة لا حق فيها للأفراد إلا بقدر حاجتهم.

وإذا نظرنا إلى الأنظمة الإسلامية نجدها قد جاءت بالتوسط والاعتدال فإنها لم تبح الملكية إباحة مطلقة كالرأسمالية ولم تمنعها بالإطلاق كالشيوعية وإنما توسطت في ذلك فأباحتها مقيدة والتقييد إنما جاء ببيان الوجوه المشروعة للكسب .

**٣ـ الموازنة بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة:**

فالمسلم لا يشعر أن هناك تعارض بين تحقيق مصالحه ومصالح المجتمع الذي يعيش فيه فعلى سبيل المثال الزكاة مصلحة جماعية تعالج مشكلات الفقر وكون الفرد يؤديها تقرباً إلى الله عز وجل لتحصيل الأجر الثواب، وصلاة الجماعة تحقق أهدافاً اجتماعية ضخمة وهي في الوقت نفسه تعود على صاحبها بمنافع خاصة.

**٤ـ الواقعية والموضوعية واليسر:**

ليست قواعد النظم الإسلامية ضرباً من خيال أو أوامر صعبة ينكرها العقل السليم بل هي تلامس احتياجات الإنسان وتقدر تغيّر ظروفه من صحة ومرض وإقامة وسفر وتتلائم معها، خذ مثلاً في نظام العبادة : الصلاة أو الصيام تجد أن طريقة أدائهما تتغير وفقاً لصحة المسلم المأمور بهما كما أن إقامته وسفره قد تؤثران في أدائه فيباح له الفطر حين السفر كما يباح له جمع بعض الصلوات وقصرها.

**٥ـ الثبات:**

إن مما تميزت به النظم الاسلامية الثبات، أي انها لا تتغير بمرور الايام، وتبدل الاحوال، ولا باختلاف الآراء، او فقد الاشخاص لان مصادرها ثابتة و محفوظة وهي القران الكريم والسنة النبوية المطهرة : يقول تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، ويقول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوهَا وَحَرَّمَ حُرُمَاتٍ فَلاَ تَنْتَهِكُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلاَ تَبْحَثُوا عَنْهَا)، ومع أن مصادر النظم الاسلامية ثابتة ونصوصها محدودة

في الكتاب والسنة الا أنها لبت احتياجات الانسان ومتطلبات حياته التي يعجز البشر عن جمعها، ويرجع ذلك الى أنها جمعت مع الثبات التطور فلم تغفل جانب المتغيرات التي تطرأ على الحياة البشرية، قال تعالى: (وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين) ،"والعالمين" لفظ يشمل الزمان والمكان على اقصى اتساع وبلا حدود.

يقول الامام الشاطبي رحمه الله: (ثبت أن الشارع قد قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية، فذلك على وجه لا يختل لها به نظام، لا بحسب الكل ولا بحسب الجزء، وسواء في ذلك ما كان من قبيل الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات، فإنها لو كانت موضوعة بحيث يمكن أن يختل نظامها أو تنحل أحكامها، لم يكن التشريع موضوعا لها، إذ ليس كونها مصالح إذ ذاك بأولى من كونها مفاسد، لكن الشارع قاصد بها أن تكون مصالح على الإطلاق، فلا بد أن يكون وضعها على ذلك الوجه أبديا وكليا وعاما في جميع أنواع التكليف والمكلفين من جميع الأحوال، وكذلك وجدنا الأمر فيها، والحمد لله.

إن ثبات النظم الاسلامية ميزة عظيمة جعلت الطريق مذللا والهدف واضح، فليس امام المسلمين الا الرجوع الى مصادر الدين القويم ليستقوا منها النظم والتشريعات التي تنظم حياتهم وامور معاشهم من خالقهم الذي هو اعلم بهم وبما يصلح دينهم ودنياهم، وشتان بين تشريع رب العالمين وبين تشريعات البشر ونظمهم التي تقوم على العقل البشري المجرد فلا تلبث أن تتغير وتتبدل بتغير الاشخاص والازمان والاجناس فليس لها أساس ثابت يحكمها ولا علم محيط ينظمها فتبارك الله رب العالمين.

**٦ـ موافقة الفطرة:**

موافقة النظم الاسلامية للفطرة من أهم مميزاتها، وهي تستمد هذه الخاصية من الرسالة نفسها، فالإسلام دين الفطرة، وهذا لا يعني أن غيره من الأديان التي أنزلها الله لم يكن موافقًا الفطرة، لكنها كانت أديان محدودة ومحصورة في الزمان والمكان؛ ولذلك جاءت موافقتها للفطرة محدودة في موافقتها لفطرة أهلها في زمانهم ومكانهم وحسب ،لكن رسالة الإسلام الخالدة التي ارتضاها الله لخلقه حتى قيام الساعة، ولذلك جاءت شريعته إعجازية في موافقتها للفطرة على امتداد الزمان والمكان وتنوع الأشخاص والأحوال.

إن الله تعالى خالق الفطرة البشرية وهو العلم بما يصلح لها في دنياها واخراها ،فشرع لعباده من النظم ما يوافق فطرتهم ،قال تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) .

فليس في النظم الاسلامية ما يعارض الفطرة السليمة ويقاومها ،بل إن المتأمل لنصوص القرآن والسنة يجد للعقل مكانا عظيما في الاسلام فان الله _تعالى_ خص به البشر وخاطبهم، وجعل العقل هو مناط التكليف وفي النظم الاسلامية ما يحقق الحرية للإنسان ويوفر له الكرامة، فإن مخالفة الفطرة في بعض النظم والقوانين أدت إلى ألوان من الفوضى الاجتماعية والخلقية والسياسية، فالنظم الاسلامية موافقة للفطرة ومؤداها هو الفطرة.